

القضايا الخلافية المتعلقة بالإلهيات بين ابن تيمية والأشاعرة: الصفات الذاتية والخبرية
نموذجاً "أسباب الخلاف وسبل التقارب"

The Controversial Issues Related to Divinity Between Ibn Taymiyyah and The Asharis Regarding Gods Self-Attributes and The Narrated Ones.

[10.35781/1637-000-0104-004](https://doi.org/10.35781/1637-000-0104-004)

الباحث/ علي جار الله القحطاني*

*طالب في مرحلة الدراسات العليا بجامعة قطر

الملخص

أَنَّ كلاً من ابن تيمية والأشاعرة يريدون تنزيه الله عزَّ وجلَّ وهو سبب الاختلاف الرئيسي، وكذلك من أهم أسباب اختلافهم مسألة الأخذ بالتأويل والتفويض أم الأخذ بالظاهر هو مذهب السلف الصالح، وأهم سبل التقارب هو النظر إلى حال الأمة وما هي فيه من ضعف وتفرق بسبب اختلاف المسلمين.

الكلمات المفتاحية: الإلهيات، ابن تيمية، الأشاعرة، توحيد، الألوهية.

انطلقت هذه الدراسة لتبيِّن أسباب الاختلاف الذي يؤدي إلى تفرق الأمة الإسلامية، وسبل التقارب الذي يجمع كلمتها ويقوي صفها، وهل الخلاف حقيقي يستحق الوصول للتبديع والتكفير أم لا؟ وذلك بأخذ القضايا الخلافية المتعلقة بالإلهيات بين ابن تيمية والأشاعرة، وسأكتفي بالصفات الذاتية والصفات الخبرية، واستخدمت المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، في مبحثين منطلقاً من الصفات الذاتية والخبرية عند ابن تيمية والأشاعرة، ثم أسباب الاختلاف وسبل التقارب، وخلصت الدراسة إلى نتائج أهمها:

Abstract

This is done by taking the controversial issues related to theology between Ibn Taymiyyah and the Ash'aris, and I will suffice with the intrinsic and informative attributes, and I used the descriptive and analytical approach, in two topics starting from the intrinsic and informative attributes of Ibn Taymiyyah and the Ash'aris, then the reasons for the differences and ways of rapprochement, and the study concluded with the most important results: that both Ibn Taymiyyah and the Ash'aris want to sanctify God Almighty, which is the main reason for the

difference, and also one of the most important reasons for their differences is the issue of taking interpretation and delegation or taking the apparent meaning, which is the doctrine of the righteous predecessors, and the most important ways of rapprochement is to look at the state of the nation and what it is in terms of weakness and division due to the differences of Muslims.

Keywords: Theology, Ibn Taymiyyah, Ash'aris, monotheism, divinity
star_border

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ، فإن مسألة الصفات من أهم المسائل التي اختلف فيها المسلمون في باب الإلهيات، وقد كثرت الكلام حولها، واختلفوا فيها حتى على مستوى الفرقة الواحدة، بين من يثبتها على ظاهرها وبين من يؤولها، وبين من يفوضها إلى الله، ومقصدهم من ذلك تنزيه الله عز وجل، ولكن هذا الخلاف أدى إلى آثار سلبية بين الفرق، وتفرقت الأمة بسببها.

إشكالية الدراسة:

تكمن إشكالية الدراسة في أسباب الاختلاف وسبل التقارب بين ابن تيمية والأشاعرة في القضايا الخلافية المتعلقة بالإلهيات، فبالنظر إلى أسباب الاختلاف في مسألة الصفات الذاتية والخبرية أنموذجاً، تظهر إشكالية البحث على شكل سؤال رئيس هو:

هل الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة في مسألة الصفات الذاتية والخبرية اختلاف حقيقي أم لا؟

ثم تظهر أسئلة ثانوية وهي:

ما منهج الأشاعرة في الصفات الذاتية والخبرية الإثبات، أم التأويل، أم التفويض؟

ما منهج ابن تيمية في الصفات الذاتية والخبرية الإثبات، أم التأويل، أم التفويض؟

ما أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة؟

هل سبل التقارب بين ابن تيمية والأشاعرة ممكنة أم لا؟

الدراسات السابقة:

لم أجد في حدود بحثي وعلمي دراسة بين ابن تيمية والأشاعرة وذكر فيها أسباب الاختلاف وسبل التقارب بينهما، ولكن الدراسات كثيرة عن الصفات وأنواعها وأقسامها عند ابن تيمية وعند الأشاعرة، وكل ينتصر ويؤيد مذهبه، وأقرب الدراسات إلى دراستي:

رسالة دكتوراه بعنوان: (موقف ابن تيمية من الأشاعرة)، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1995م.

وأصل هذا الكتاب رسالة علمية، وقد عقد الباحث فيها فصلاً بعنوان: (الفصل الأول: عرضه لجوانبهم الإيجابية واعترافه بما عندهم من حق)، ذكر فيه وصف ابن تيمية للأشاعرة بأنهم من أهل السنة في مقابل

المعتزلة والرافضة، وتفضيله أقوالهم على أقوال غيرهم من المعتزلة والجهمية والفلاسفة، وذكره لإيجابيتهم وردودهم على الباطنية والملاحدة وغيرهم، وأنهم يحمدون لما لهم من مساع وجهود مشكورة، وإنصافه لأعلامهم.

وهذا عرضٌ من جانب موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ولكنه لم يتعرض لأسباب الخلاف وسبل التقارب بينهم.

1. رسالة دكتوراة بعنوان: (الأسماء والصفات بين ابن تيمية وأبي الحسن الأشعري دراسة مقارنة)، للباحث: محمد يوسف محمد الشويكي، السودان، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 1417هـ-1996م، تحدّث الباحث في عدة أبواب عن مذهب ابن تيمية ومذهب أبي الحسن الأشعري في الأسماء والصفات، ودراسة مقارنة بين ابن تيمية وأبي الحسن الأشعري، وقصر هذا البحث على المقارنة بينهم، ولم أجد في هذه الدراسة شيئاً عن أسباب الاختلاف وسبل التقارب بين ابن تيمية والأشاعرة.
 2. رسالة دكتوراه بعنوان: (الإلهيات عند الإمام ابن تيمية وموقف الفكر الأشعري منها: دراسة نقدية)، للباحث ربيع حسن العائدي، الأردن، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، 2012م، تكلم الباحث في عدة فصول عن ابن تيمية وأبرز علماء المدرسة الأشعرية في مسألة العالم بين القدم والحدوث، وإثبات وجود الله سبحانه وتعالى، والأسماء والصفات، ورؤية الله، وأفعال الله -عز وجل-، ولم أجد في هذه الدراسة شيئاً عن أسباب الاختلاف وسبل التقارب بين ابن تيمية والأشاعرة.
 3. بحث محكّم بعنوان: (أزمة تمثيل أهل السنة والجماعة بين الأشاعرة والسلفية)، عبد الكريم بليل، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد الثامن، العدد الثاني، جانفي، 2020م، (ص: 45-66).
- وقد تحدّث الباحث فيها عن أزمة التمثيل لمصطلح أهل السنة والجماعة بين الفريقين، وتعدّي الأمر بينهم للتبديع والتكفير، ولكنه لم يتناول أسباب الخلاف وسبل التقارب بينهم.

حدود الدراسة وإطارها:

لا يخرج البحث عن الصفات الذاتية والصفات الخبرية عند ابن تيمية والأشاعرة.

أهداف الدراسة:

1. بيان رأي الأشاعرة في الصفات الذاتية والخبرية.
2. بيان رأي ابن تيمية في الصفات الذاتية والخبرية.
3. بيان أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة.
4. بيان سبل التقارب بين ابن تيمية والأشاعرة.

منهج الدراسة:

استخدمت في الدراسة المنهج الوصفي: بوصف وتوضيح وجوه الخلاف بين ابن تيمية والأشاعرة في الصفات الذاتية والخبرية.

والمنهج التحليلي: بتحليل الخلاف، وإظهار حقيقته، وكشف أسبابه، وسبل التقارب له.

إجراءات الدراسة:

- 1- عزو الآيات القرآنية التي يرد ذكرها في البحث ذاكراً اسم السورة ورقم الآية فقط، مع نسخها بالرسم العثماني.
- 2- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث تخريجاً علمياً، مع الحكم عليها من كتب أهل الحديث، عدا الأحاديث التي في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بذكر مصدرها من الصحيحين أو أحدهما فقط.
- 3- توثيق الأقوال المنسوبة لقائلها من كتبهم الموجودة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.
- 4- توثيق النصوص المنقولة أو المقتبسة بذكر اسم المصدر أو المرجع الموثق منه لأول مرة توثيقاً كاملاً بذكر اسم الكتاب، المؤلف، المحقق، دار النشر، الطبعة، السنة، الجزء والصفحة. أما في حالة تكرره فسأكتفي بذكر اسم الكتاب مع ذكر الجزء والصفحة فقط.
- 5- الهامش الذي أضع عليه كلمة " ينظر" هو نقل مقتبس أو متصرف فيه، والهامش الذي يتم توثيقه مباشرة بدون كلمة " ينظر" هو نقل بالنص، ويكون بين قوسين.
- 6- الترجمة للأعلام الغير مشهورين الوارد ذكرهم في البحث ممن لهم صلة متعلقة بموضوع البحث.
- 7- التعريف الموجز بالمصطلحات والكلمات الغامضة المتعلقة بموضوع البحث.
- 8- التعريف الموجز بالبلدان والمواضع المتصلة بالبحث.
- 9- التعريف الموجز بالفرق الإسلامية.
- 10- التعقيب العلمي الموضوعي على القضايا والموضوعات التي تحتاج إلى تعقيب ومناقشة.

هيكل الدراسة:

تتقسم الدراسة ابتداءً إلى مبحثين، وتحت كل مبحث مطلبان وفق الآتي:

المبحث الأول: الصفات الذاتية والصفات الخبرية عند ابن تيمية والأشاعرة.

المطلب الأول: الصفات الذاتية عند الأشاعرة وابن تيمية.

المطلب الثاني: الصفات الخبرية عند الأشاعرة وابن تيمية.

المبحث الثاني: أسباب الاختلاف وسبل التقارب.

المطلب الأول: أسباب الاختلاف.

المطلب الثاني: سبل التقارب.

الخاتمة (النتائج والتوصيات).

المبحث الأول: الصفات الذاتية والصفات الخبرية عند ابن تيمية والأشاعرة

تمهيد:

إن تقسيم صفات الله سبحانه وتعالى لم يكن موجوداً في عهد الصحابة والتابعين، ولكنه ظهر لما كثر الكلام عن صفات الله، وكثر الخلاف بين الفرق فظهر لكل منهم تقسيم لصفات الله حسب الاعتبارات التي يراها، فقد قسم ابن تيمية⁽¹⁾ الصفات إلى صفات ذاتية، وصفات فعلية، وصفات خبرية، وصفات اختيارية، وأما الأشاعرة فقد قسموا الصفات إلى صفات ذاتية وصفات فعلية وصفات خبرية، والذي يهمنا أنه لا يوجد فرق كبير في تقسيم الصفات بين الأشاعرة وابن تيمية، فقد شابه ابن تيمية الأشاعرة في مصطلح صفات المعاني، واختلف معهم في مصطلح السلب وهكذا، وليس محل حديثنا في هذا البحث الصفات وتقسيمها وإنما سنتحدث في هذا المبحث عن الصفات الذاتية والصفات الخبرية عند ابن تيمية والأشاعرة ومنهجهم فيها بشكل عام، وكيف تعاملوا معها؟ هل بإثباتها على ظاهرها أو بالتأويل أو بالتفويض؟، وذلك للوصول إلى أسباب الاختلاف وسبل التقارب بينهم، ومعرفة هل الخلاف كبير لهذه الدرجة التي توصل إلى تكفير وتبديع بعضهم البعض، أم أنهم متفقون على أصول هذه المسألة والخلاف يسير فيها.

المطلب الأول: الصفات الذاتية عند الأشاعرة وابن تيمية

يثبت الأشاعرة الصفات الذاتية أو صفات المعاني القائمة بذات الله وهي عندهم سبع صفات معاني، وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، وصفات المعاني كما عرفها البيجوري هي: "كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكماً ككونه قادراً فإنه لازم للقدرة وفي الحقيقة المعاني والمعنوية متلازمان"⁽²⁾.

(1) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني، أبو العباس ولد سنة (661هـ)، له مئات التصانيف، من أشهرها منهاج السنة النبوية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم، الاستقامة، الإيمان، توفي سجيناً بقلعة دمشق سنة (728هـ)، ينظر: ابن العماد: شهاب الدين، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، (دار ابن كثير، ط1، 1411هـ - 1991م) ج6 ص80-86.

(2) البيجوري: إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي، حاشية الباجوري المسماة تحفة المريد على جوهره التوحيد، تحقيق: علي جمعة محمد الشافعي، (دم، دار السلام للطباعة والنشر، ط1. 1422هـ-2002م)، ص74.

وصفات المعاني عند الأشاعرة قديمة وليست حادثه، لأنها لو كانت حادثه لكان لازماً قيام الحوادث بذات الله سبحانه وتعالى، قال الجويني⁽¹⁾: "مذهب أهل الحق أن الباري حي، عالم، قادر، له الحياة القديمة، والعلم القديم، والقدرة القديمة، والإرادة القديمة"⁽²⁾.

وأما غير هذه الصفات السبع فلا يثبتونها كما هي، بل يؤولونها أو يردونها إلى الصفات السبع التي أثبتوها، وسنعرض الآن أمثلة للصفات الذاتية وقول الأشاعرة وابن تيمية فيها باختصار، لأن هذا ليس محل بحثنا فلا نريد التوسع في الحديث عنها.

• **صفة القدرة:** من الصفات الذاتية التي أثبتها الأشاعرة بالنقل والعقل، فدلّل النقل في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلِيٌّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:1]، ومن العقل قول الغزالي: "ندعي أن محدث العالم قادر، لأن العالم فعل مُحكم مرتب متقن منظوم مشتمل على أنواع من العجائب والآيات، وذلك يدل على القدرة"⁽³⁾.

• **صفة العلم:** وهي من الصفات الذاتية التي يثبتها الأشاعرة بالنقل والعقل، أما من النقل ففي قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 29]، ومن العقل قول الجويني: "إذا تقرر أن الباري تعالى صانع العالم، واستبان للعاقل لطائف الصنع، وأحاط بما تتصف به السماوات والأرض وما بينهما من الاتساق والانتظام والاتقان والإحكام فيضطر إلى العلم بأنها لم تحدث إلا من عالم بها...، وكذلك يعلم كل عاقل على البديهة أن الفعل الرصين المتين يستحيل صدوره من الجاهل به"⁽⁴⁾.

• أما ابن تيمية فيثبت جميع الصفات لله -سبحانه وتعالى- على ظاهرها من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف، قال ابن تيمية: "وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفته به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له - تعالى - ما أثبتته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل، كما قال

(1) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف الجويني، الملقب بإمام الحرمين، ولد سنة (419هـ)، صاحب التصانيف في علم الكلام أفاد الأشاعرة ودافع عنهم فشاخ ذكره، من مصنفاته: البرهان، الإرشاد، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، توفي سنة (478هـ)، ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج3 ص358، الزركلي، خير الدين، الأعلام، (دار العلم للملايين، ط5، 1980م) ج4 ص160.

(2) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، (مصر، مكتبة الخانجي، دت، 1369هـ-1950م)، ص79.

(3) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ-2004م)، ص51.

(4) الجويني، الإرشاد، ص62.

تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: 180] أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسول. ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: 181]... (1).

الخلاصة: أن الأشاعرة يثبتون صفات المعاني بالنقل والعقل، ويثبتونها لله - سبحانه وتعالى -، وإضافة لها معاني الصفات السبع فيقولون عالم بعلم، قادر بقدره، مرید بإرادته، حي بحياة، سمیع بسمع، بصیر ببصر، متكلم بكلام، فيكون مجموع الصفات الحقيقية أربع عشرة صفة، ويزيد على ذلك ست صفات غير حقيقية وهي التي لا تحمل معاني مستقلة وهي:

أولاً: صفة نفسية وهي الوجود، ثانياً: قديماً يعني أنه ليس لوجوده بداية، ثالثاً: باقياً بمعنى أنه لا يطرأ عليه القدم، رابعاً: قائماً بنفسه بمعنى أنه مستغن عن المحل والمخصص، خامساً: مخالفاً للحوادث بمعنى أنه لا شيء يماثله لا في ذاته ولا في صفاته، سادساً: واحداً لا شريك له (2).

المطلب الثاني: الصفات الخبرية عند الأشاعرة وابن تيمية

الصفات الخبرية هي التي مصدرها السمع ولا مجال للعقل فيها، ، وإن لم يسمها الأشاعرة بالصفات الخبرية ولكنهم عبروا عن ذلك بوصفها خبرية قال البيهقي: "ورود خبر الصادق به فقط كالوجه واليدين والعين في صفات ذاته، وكالاستواء على العرش والإتيان والمجيء والنزول ونحو ذلك من صفات فعله (3)" وتنقسم إلى قسمين: صفات خبرية ذاتية كالوجه واليدين والعين لله سبحانه وتعالى، وصفات خبرية فعلية كالاستواء والنزول، وهذه الصفات جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وليس لها علاقة بأسماء الله عز وجل، فظهرت إشكالات كثيرة في هذه المسائل، ودار الكثير من الكلام عليها حتى بين المدرسة الواحدة، فمنهم من يثبت هذه الصفات على ظاهرها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، ومنهم من يؤولها، ومنهم من يفوضها، والآن نعرض رأي الأشاعرة وابن تيمية في هذه الصفات الخبرية باختصار، لأن هذا ليس محل بحثنا فلا نريد التوسع فيها.

• صفة الوجه: وهي من الصفات الخبرية الذاتية الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمَهُ﴾ [البقرة: 115]، ومن السنة النبوية حديث أبي موسى الأشعري، قال: «قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخمس كلمات، فقال: إن الله - عز وجل - لا

(1) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، (السعودية، دار العاصمة، ط2، 1419هـ-1999م)، ج4، ص405.

(2) يتصرف من الكبيسي، محمد عياش، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، (بغداد، مطبعة الحسام، ط1، 1416هـ-1995م)، ص125.

(3) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخنزرجدي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، الأسماء والصفات، عبد الله بن محمد الحاشدي، طباعة مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1413 هـ - 1993 م، ص 276.

ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور - وفي رواية أبي بكر: النار -، لو كشفه لأحرقت سُبحَاتُ⁽¹⁾ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»⁽²⁾.

أما متقدمو الأشاعرة مثل أبي الحسن الأشعري ومن معه فقد أثبتوا صفة الوجه لله - سبحانه وتعالى - على ظاهرها، قال الأشعري: "إن لله سبحانه وتعالى وجهاً بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿وَيُنقِ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]"⁽³⁾.

وأما متأخرو الأشاعرة فذهبوا إلى تأويل صفة الوجه لله سبحانه وتعالى إلى الذات أو الوجود، ولا يثبتونها كما أثبتها أئمتهم، وذلك للخروج من التجسيم والتشبيه لله - سبحانه وتعالى - بالخلق، قال الجويني: "في قوله تعالى: ﴿وَيُنقِ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، فلا وجه لحمل الوجه على صفة، إذ لا تختص بالبقاء بعد فناء الخلق صفة لله تعالى، بل هو الباقي بصفاته الواجبة، فالأظهر حمل الوجه على الوجود"⁽⁴⁾.

وأثبت ابن تيمية صفة الوجه لله - سبحانه وتعالى -، فالوجه صفة خبرية ذاتية تليق بالله - عز وجل - من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل، ولكن عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَنُحْهُهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115]، بين أن هذه ليست من آيات الصفات، ولكن المراد منها قبلة الله، قال ابن تيمية: "المراد بالوجه هنا القبلة، فإن الوجه هو القبلة..."، وقد ذكر ابن تيمية أن هذا القول ليس هو أول قائل به، بل سبقه بذلك مجاهد والشافعي وهما من السلف، ثم بين ابن تيمية أن "الوجه" يعني الجهة في لغة العرب، فيقال: قصدت هذا الوجه وسافرت إلى هذا الوجه، أي: إلى هذه الجهة وهذا كثير مشهور فالوجه هو الجهة. ثم قال: "والسياق يدل عليه لأنه تعالى قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾ وأين من الظروف وتولوا أي تستقبلوا. فالعنى: أي موضع استقبلتموه فهناك وجه الله فقد جعل وجه الله في المكان الذي يستقبله هذا بعد قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ وهي الجهات كلها كما في الآية الأخرى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 142].

(1) أي: نوره وجلاله وبهاؤه. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج3، ص13.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب في قوله - صلى الله عليه وسلم - إن الله لا ينام، رقم (179).

(3) الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: فوقية حسين محمود، (القاهرة، دار الأنصار، ط1، 1397هـ)، ص54.

(4) الجويني، الإرشاد، ص157.

فأخبر أن الجهات له فدل على أن الإضافة إضافة تخصيص وتشريف؛ كأنه قال جهة الله وقبلة الله، وهذا معنى آخر في سياق آخر مغاير لقوله سبحانه: ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:27] (1).

• **صفة اليد:** وهي من الصفات الخبرية الذاتية التي وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد وردت في القرآن بصيغة مفردة، قال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:10]، ووردت مشاة في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيٍّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:75]، ووردت كذلك بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:47]، وأما في السنة المطهرة وردت في حديث عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ -عَزَّوَجَلَّ- يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءَ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءَ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (2). أما متقدمو الأشاعرة مثل أبي الحسن الأشعري (3) فيثبتون صفة اليد لله -سبحانه وتعالى- على ظاهرها بما يليق به سبحانه وتعالى، يقول الأشعري: "وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ بِلَا كَيْفٍ كَمَا قَالَ: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص:75]، وكما قال: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:64]" (4). وأما متأخروهم فذهبوا إلى التأويل بالقدرة (5). وقد أثبت ابن تيمية أن الله -سبحانه وتعالى- يدين حقيقتان، تليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، قال ابن تيمية: "إن لله تعالى يدين مختصتان به ذاتيتان له كما يليق بجلاله" (6).

• **صفة الاستواء:** وهي كذلك من الصفات الخبرية الفعلية التي وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]، ومن السنة المطهرة حديث الأمامة السوداء وفيه: «وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبيل أحمد والجوانية» (7)، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكنني صككتها صكة، فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعظم ذلك

(1) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد، (السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1425 هـ - 2004 م)، ج6، ص12 و ص16.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، برقم (2759).

(3) هو: علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعري البصري، مؤسس مذهب الأشاعرة، من كتبه: اللمع، مقالات الإسلاميين، الأسماء والصفات، الرد على المجسمة، وغيرها. توفي سنة (324هـ)، وقيل غير ذلك. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (85/15)، الزركلي، الأعلام، (263/4).

(4) محمد أمان علي جامي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، (المدينة المنورة، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 1408هـ)، ص160.

(5) الجويني، الإرشاد، ص155.

(6) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج6، ص263.

(7) موضع أو قرية قرب المدينة إليها ينسب بنو الجوانية. الحموي، معجم البلدان ج2، ص175.

علي. قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: اتنتي بها. فأتيتها بها فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة⁽¹⁾.
 أما الأشاعرة فيثبتون استواء حقيقياً لله -سبحانه وتعالى- على عرشه كما يليق به سبحانه وتعالى⁽²⁾،
 أما متأخروهم فيؤولونه بالاستيلاء والقدرة⁽³⁾.

المبحث الثاني: أسباب الاختلاف وسبل التقارب

المطلب الأول: أسباب الاختلاف

تمهيد:

الاختلاف لغة: الاختلاف مصدر اختلف، والخلاف: المضادة، وكل مالم يتساوى فقد تخالف واختلف، وقوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ وَالرِّزْقَ مَحْتَلِّفًا أَكُلُهُ﴾ [الأنعام: 141]⁽⁴⁾.

اصطلاحاً: الاختلاف والمخالفة أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً في حاله أو في قوله، والخلاف أعم من الضد لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، والخلاف والمخالفة يراد به مطلق المغايرة في القول، أو الرأي، أو الحالة⁽⁵⁾.

النهاي عن الاختلاف والتفرق: إنَّ الله -سبحانه وتعالى- ورسوله -صلى الله عليه وسلم- قد حذروا من الفرقة والاختلاف كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: 153]، وجاء في

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، برقم (537).

(2) أبو الحسن الأشعري، الإبانة، ص 58.

(3) الإيجي: عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، تحقيق: عبد الرحمن بن عميرة، (بيروت، دار الجبل، ط1، 1997م)، ص 741.

(4) ابن منظور الأفرريقي: جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة خلف، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1410هـ-1995م)، ج 9، ص 90-91.

(5) العلواني طه جابر، أدب الاختلاف في الإسلام، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي الإسلامي، د. ط، 1987م)، ص 21-22.

الحديث: «فإنه من يعيش منكم بعدي فسيروا اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين -الحديث-»⁽¹⁾.

أسباب الاختلاف:

إنَّ الاختلاف في المسائل العقديّة غير القطعية سائغ من أيام الصحابة -رضي الله عنهم- إلى يومنا هذا، فقد اختلف الصحابة -رضي الله عنهم- في رؤية الرسول -صلى الله عليه وسلم- لربه ليلة الإسراء والمعراج، عن مسروق -رحمه الله- قال: قلت لعائشة -رضي الله عنها- يا أمتاه، هل رأى محمد -صلى الله عليه وسلم- ربه؟ فقالت: "لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]"⁽²⁾.

ولكن الاختلاف في الصفات لم يكن معهوداً في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا في عهد الصحابة -رضوان الله عليهم-، لأنها لم تكن من المسائل المرتبطة بالعمل، ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بينهم يعلمهم أمور دينهم وما أشكل عليهم، وكان الصحابة يُسلمون بما جاءهم، ولكن بعد أن اتسعت رقعة الإسلام وكثر الكلام والجدل بين المسلمين وغير المسلمين، فكانت هناك أساليب الرد والحجج لدى المسلمين للدفاع عن عقيدتهم والشبهات التي ترد عليهم، ومع مرور الزمن ظهرت الفرق وكثر الخلاف خاصة في مسائل الصفات، ونحن سنتطرق إلى أسباب الاختلاف بين الأشاعرة وابن تيمية في باب الصفات.

إنَّ منهج ابن تيمية وكذلك متقدمو الأشاعرة مثل أبي الحسن الأشعري الأخذ بظواهر النصوص، فأثبتوا صفات الله على ظاهرها، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، وذلك لتزيه الله -عزَّ وجلَّ-، وإثبات ما أثبتته الله لنفسه في ظاهر النصوص وعدم نفي أو تعطيل للصفات، أما متأخرو الأشاعرة مثل الجويني والرازي والغزالي وغيرهم فلم يثبتوا صفات الله -عزَّ وجلَّ- على ظاهرها، ولكن أولوها لمعاني أخرى، وذلك لتزيه الله -عزَّ وجلَّ- وعدم الوقوع في التجسيم والتشبيه لله بال مخلوق من وجهة نظرهم.

والسبب الرئيسي للاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة هو تزيه الله -عزَّ وجلَّ- عن النقص وإثبات الكمال له كما يليق به، ولكن اختلفوا للوصول إلى ذلك.

(1) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث العرياض بن ساريه عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، برقم (17145)، ج28، ص375.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة {والنجم}، برقم (4574).

ولكن يمكن عرض بعض أسباب الخلاف بين ابن تيمية ومتأخرو الأشاعرة فيما يتعلق في باب الصفات الذاتية والخبرية:

1. التأويل: إن مسألة التأويل من أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة في مسألة الصفات، وذلك لعدة أسباب عند ابن تيمية:

أولاً: يمنع الأخذ بالتأويل في باب الأسماء والصفات.

ثانياً: يرى أن معنى التأويل عند الأشاعرة وهو صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي لم يرد في اللغة، وإنما ورد بلفظ التفسير أو حقيقة ما يؤول إليه الأمر.

ثالثاً: لم يعرفه الصحابة -رضوان الله عليهم- ولا التابعون، وإنما هو استعمال محدث لم يستعمله من قبلهم بهذا المعنى.

وذكر ابن تيمية أن التأويل جائز بأربعة شروط:

الأول: أن اللفظ المؤول مجازي استعماله في الكتاب والسنة وكلام السلف.

الثاني: أن يأتي دليل صارف للفظ عن حقيقته إلى مجازه.

الثالث: أن يسلم الدليل الصارف عن المعارضة.

الرابع: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لو قال شيئاً وأراد به خلاف الظاهر فلا بد أن يبين ذلك للأمة⁽¹⁾.

وأما الأشاعرة فيثبتون التأويل بشروطه وضوابطه، ولا يرون الأخذ بظواهر النصوص، قال الجويني: "إن الإعراض عن التأويل حذراً من واقعة محذور في الاعتقاد يجر إلى اللبس والإيهام، واستدلال العوام وتطريق الشبهات إلى أصول الدين، وتعرض بعض كتاب الله تعالى لرجم الظنون"⁽²⁾، وقال الرازي: "لو أخذنا بظواهر النصوص التي جاءت فيها صفات جسمية كالوجه والعين والجنب، والأيدي والساق، للزم إثبات شخص واحد له عين وأيدي وجنب وساق، ولا ترى في الدنيا أقبح من هذه الصورة المتخيلة، ولا اعتقد أن عاقلاً يرضى بأن يكون ربه على هذه الصورة أو بتلك الصفة"⁽³⁾.

وكذلك فالأشاعرة يرون أن علماء السلف يبنوا أن التأويل ليس مذموماً كما قال ابن تيمية، وأن قول ابن تيمية بالأخذ بظواهر النصوص ليس رأياً للسلف، قال محمد عادل الكيالي الحسيني: "كيف وقد اجتمعوا جميعاً على فهم واحد في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، في آيات وأحاديث الصفات، وأنها تدور بين

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج6، ص360-361.

(2) الجويني، الارشاد، ص60.

(3) الرازي، أساس التقديس، تحقيق: أحمد السقا، (الفاخرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1406هـ)، ص60.

التأويل المبني على لسان العرب"⁽¹⁾، وقد جمع في كتابه كلام مجموعة من علماء السلف الذين قالوا بالتأويل مثل الحافظ ابن كثير، والحافظ النووي والقاضي الشوكاني، والإمام ابن حجر وغيرهم.

فمسألة التأويل يطول الحديث عنها، ولكن الذي يهمنا أنها من أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة في باب الصفات، فابن تيمية لا يرى بمعنى التأويل عند الأشاعرة، ويمنع الأخذ به، ويستدل على أنه ليس من اللغة، ولا من هدي الصحابة والسلف، وأن الأخذ بالتأويل تعطيل للصفات، والأشاعرة يثبتون التأويل وأنه من هدي السلف، ولا يرون الأخذ بالظاهر لأنه يفضي إلى التجسيم والتشبيه بالمخلوقين.

2. التفويض: إن مسألة التفويض من أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة في باب الصفات، فيمنع ابن تيمية الأخذ بالتفويض في باب الصفات، بل يثبتها على ظاهرها، قال ابن تيمية: "المعارضون ينتهون إلى التأويل أو التفويض وهما باطلان"، ثم قال: "وأما التفويض، فإن المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الاعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟"⁽²⁾

وأما الأشاعرة فيقولون بالتفويض مع تنزيه الله -عز وجل-، قال الرازي: "إن هذه المتشابهات يجب القطع فيها بأن مراد الله تعالى منها شيء غير ظواهرها، ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى، ولا يجوز الخوض في تفسيرها"⁽³⁾، وكذلك قولهم إن منهج السلف القول بالتفويض والتأويل خلاف قول ابن تيمية الأخذ بالظاهر كما سبق بيانه في التأويل.

فيظهر لنا الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة في القول بالتنزيه، فيرى ابن تيمية أن الأخذ بالتفويض هو تجهيل، ولم يقل به السلف الصالح، وأما الأشاعرة فثبتوا التفويض في صفات الله وأنه منهج السلف الصالح، وتفويض الصفات لله -سبحانه وتعالى-.

3. المبالغة في إظهار كل طرف بأنه يمثل رأي الصحابة والسلف، وهذا من أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة في باب الصفات، ومثال ذلك كما ذكرنا في مسألة التأويل والتفويض والأخذ بالظاهر في آيات الصفات، فابن تيمية يمنع القول بالتأويل لأنه يؤدي إلى التعطيل والتفويض وقال أنه التجهيل، ويرى أن منهج السلف الصالح الأخذ بالظاهر، وظهرت كتب أنصار هذا القول تنفي قول السلف بالتأويل والتفويض مثل كتاب الأشاعرة في ميزان أهل السنة، وجعل فيه باباً كاملاً يتكلم عن "بطلان ورود التأويل في صفات الله عن أحد من السلف"، بينما الأشاعرة قالوا عكس ذلك تماماً، فقالوا بالتأويل بشروطه وضوابطه

(1) محمد عادل الكيالي الحسيني، عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة في آيات وأحاديث الصفات كما رواها النقات، ص4.

(2) ابن تيمية، تقي الدين محمد أحمد حليم، درع تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، (المملكة العربية السعودية، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1411هـ-1991م)، ج1، ص201.

(3) الرازي، أساس التقديس، ص236.

والتفويض مع تنزيه الله عزَّ وجلَّ منهج السلف الصالح، قال سيف بن علي العصري في كتابه القول التمام: "بالغ الإمام ابن تيمية -رحمه الله- ومن سلك مسلكه في ذم التفويض، وإنكار نسبته للسلف" (1)، وذكر من أقوال السلف والخلف ممن قالوا بالتفويض، وقد بيَّنا ذلك في مسألة التأويل والتفويض فلا نطيل الحديث عن هذا السبب.

4. الاختلاف حول ورود الحديث، إن من أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة الاختلاف في ورود الحديث وفي المفردات التي جاء بها الحديث، أو الإضافة في الكلمة ومثال ذلك لفظ الساق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42]، فالاختلاف حول ورود الكلمة في الحديث مضافة أو لا؟، والشيخ الألباني -رحمه الله- قال: "نعم لقد اختلف في حرف منه، فقال الأول: "عن ساقه" وقال الآخرون: "عن ساق" والنفس إلى رواية هؤلاء أميل ولذلك قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكره باللفظ الأول: "فأخرجها الإسماعيلي كذلك. ثم قال: في قوله "عن ساقه" نكرة، ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ: يكشف عن ساق. قال الإسماعيلي: هذه أصح لموافقته لفظ القرآن في الجملة لا يظن أن الله ذو أعضاء...، قلت: فهذا صريح أو كالصريح بأن المعنى إنما هو ساق ذي الجلالة -تبارك وتعالى-، فالظاهر أن سعيد بن أبي هلال كان يرويه تارة بالمعنى حين كان يقول: "عن ساقه"، ولا بأس عليه من ذلك ما دام أنه أصاب الحق" (2). وقال ابن تيمية: "من أين في ظاهر القرآن أن لله ساقاً، وليس معه إلا قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42]، والصحابة قد تنازعا في تفسير الآية: هل المراد به الكشف عن الشدة، أو المراد به أنه يكشف الربَّ عن ساقه؟"، أما عن إثباته للصفة لله - وتعالى - فقال فيه: "فإنه لم يتنازع فيها - أي إثبات الساق - الصحابة والتابعون؛ وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أن ذلك صفة لله تعالى... وإنما ذكر ساقاً نكرة غير معرفة ولا مضافة، وهذا اللفظ بمجرد لا يدلُّ على أنها ساقُ الله، والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن ((عن ساقه))" (3)، كذلك ما ورد في الهرولة، فقد ذكر ابن تيمية

(1) سيف بن علي العصري، القول التمام، (عمان، دار الفتح، ط1، 2010م)، ص59.

(2) الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2002م)، ج2، ص127-128.

(3) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، بيان تلبیس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1. 1426هـ. ج5 ص 473.

أن المراد به المعنوية لا المادية فقال: "ولا يشك كل عاقل أن المراد منه التمثيل والتصوير، فمن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله بحركة بدنه شبراً وذراعاً ومشياً وهرولة"⁽¹⁾.

5. الاختلاف في ورود الأحاديث من أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة في باب الصفات، وكذلك الاختلاف في الأخذ من الصحيحين البخاري ومسلم، فالبخاري معلوم في علم الحديث أكثر دقة في ضبط الألفاظ من مسلم رحمهما الله جميعاً.

6. لفظ الجسم والحيز والجهة، إن من أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة في باب الصفات استخدام الأشاعرة لفظ الجسم والحيز والجهة، فابن تيمية يرى أنها ألفاظ بالجملة فمعلوم أن الألفاظ "نوعان": لفظ ورد في الكتاب والسنة أو الإجماع؛ فهذا اللفظ يجب القول بموجبه سواء فهمنا معناه أو لم نفهمه؛ لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يقول إلا حقاً والأمة لا تجتمع على ضلالة، والثاني: لفظ لم يرد به دليل شرعي كهذه الألفاظ التي تنازع فيها أهل الكلام والفلسفة هذا يقول: هو متحيز. وهذا يقول: ليس بمتحيز وهذا يقول: هو في جهة. وهذا يقول: ليس هو في جهة. وهذا يقول: هو جسم أو جوهر. وهذا يقول: ليس بجسم ولا جوهر. فهذه الألفاظ ليس على أحد أن يقول فيها بنفي ولا إثبات حتى يستفسر المتكلم بذلك فإن بيّن أنه أثبت حقاً أثبته وإن أثبت باطلاً رده وإن نفي باطلاً نفاه وإن نفي حقاً لم ينهه وكثير من هؤلاء يجمعون في هذه الأسماء بين الحق والباطل: في النفي والإثبات"⁽²⁾. فالاختلاف في الألفاظ من أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة.

7. اللغة وعدم التثبت في نقل أشعار العرب، إن من أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة اللغة وعدم التثبت في الاستدلال بأشعار العرب، ومثال ذلك استدلال الأشاعرة على الاستواء بقول الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق ***** من غير سيف ولا دم مهراق

قال ابن تيمية: "ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحتاج إلى صحته فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده وقد طعن فيه أئمة اللغة"⁽³⁾، وقال ابن الجوزي: "وهذا منكر عند اللغويين. قال ابن الاعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنما يقال: استولى فلان على كذا، إذا كان بعيداً عنه غير متمكن منه، ثم تمكن منه والله عز وجل لم يزل مستولياً

(1) المرجع المذكور ج6 ص 103.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج5، ص 298-299.

(3) المصدر السابق، ج5، ص 146.

على الأشياء والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي. ولو صحّا، فلا حجة فيهما لما بيّنّا من استيلاء من لم يكن مستولياً⁽¹⁾.

وكذلك استدلال الأشاعرة على أن كلام الله نفسي بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما***** جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وذكر ابن تيمية أن من الناس من أنكر أن يكون هذا من شعر الأخطل، فقالوا: إنهم فتشوا في دواوينه

فلم يجدوه، وقال بعضهم بلفظه: إن البيان لفي الفؤاد وإنما***** جعل اللسان على الفؤاد دليلاً⁽²⁾

إن اللغة العربية ومعاني الألفاظ والاستشهاد بأشعار العرب والتثبت منها من أهم أسباب الاختلاف بين

ابن تيمية والأشاعرة في باب الصفات، وكثير ما يرد ابن تيمية استشهاد الأشاعرة ببيت شعر العرب إما أنه موضوع أو منسوب بالغلط لقائله.

(¹) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422 هـ، ج2، ص128-129.

(²) المصدر السابق، ج6، ص296.

المطلب الثاني: سبل التقارب

1. من أعظم سبل التقارب النظر في وضع الأمة الإسلامية في وقتنا المعاصر، وما هي فيه من ضعف وتفرق واختلاف، ذلك بسبب ما هم فيه من تحزب وتفرق إلى جماعات وفرق مختلفة، يكفر بعضها بعضاً، ويفسق بعضهم بعضاً، فقد انشغلوا ببعضهم البعض عن أمور دينهم وديناهم، وهذا يناهض قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء: 92]، وكذلك يناهض قول النبي -صلى الله عليه وسلم-، عن جندب بن عبد الله، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «اقرأوا القرآن ما اختلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فتقوموا عنه»⁽¹⁾، وأكبر مثال على ذلك موضوع البحث الذي يبيِّن سبب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة في مسألة الصفات، فهي ليست من أصول الدين القطعية المبنية على التكفير والتبديع، بل هي من المسائل غير القطعية وسائخ الاختلاف فيها، وإن هذا الخلاف بين ابن تيمية والأشاعرة يقبل الاجتهاد وليس فيه نصوص قاطعة معلومة من الدين بالضرورة، بل الكل مجتهد يبحث عن تنزيه الله -عزَّ وجلَّ-، فالاختلاف منذ القدم مشروع والافتراق هو المذموم.
2. عدم التعصب لأي فريق لنصرته، واتباع الهوى لنصرة القول الذي تريده دون البحث عن الحق، وإخلاص النية لله -سبحانه وتعالى- في البحث عن الحق دون تعصب أو اتباع للهوى، بل يكون البحث عن الحق الذي تدين الله -عزَّ وجلَّ- به، قال ابن تيمية: "والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية، والأشعرية، وحشة ومنافرة، وأنا كنت من أعظم الناس تأليفاً لقلوب المسلمين وطلباً لاتفاق كلمتهم واتباعاً لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله وأزلت عامة ما كان في النفوس من الوحشة وبيئت لهم أن الأشعري كان من أجل المتكلمين المنتسبين إلى الإمام أحمد -رحمه الله- ونحوه المنتصرين لطريقه كما يذكر الأشعري ذلك في كتبه"⁽²⁾.
3. لا يجوز تكفير المعين، سواء من الأشاعرة أو ابن تيمية، فقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»⁽³⁾، فالتكفير مسألة مهمة جداً لا يجوز التساهل فيها.
4. الأدب في الخلاف، من أهم سبل التقارب الأدب في الخلاف، وعدم التناول والشتم، بل لا بد من الأدب في الحوار، وذلك يكون بتحرير محل الاتفاق، ثم مناقشة محل الخلاف، فمثال ذلك مسألة الصفات بين الأشاعرة وابن تيمية، فالجميع متفقون إثبات الكمال لله عزَّ وجلَّ بما يليق به، ولكن اختلفوا، وكان الدافع الرئيسي هو تنزيه الله -عزَّ وجلَّ- عن كل شيء.

(1) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: (اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم)، حديث رقم (4773).

(2) ابن تيمية، الفتاوى، ج3، ص 227-228.

(3) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، حديث رقم (6104).

5. الجانب الإيماني التعبدى لله - عزَّ وجلَّ -، إذا فكَّر العبد فيه ابتعد عن الخلاف والتحزب، وذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى لن يسألك يوم القيامة عما وصل إليه اليوم أهل الاختلاف والتحزب في مسألة الصفات، ففي عهد الصحابة -رضوان الله عليهم- ءامنوا بالله وأسماءه وصفاته وأثبتوا الكمال لله ونزهوه عن كل نقص، ولم يجادلوا ويناقدوا ويختلفوا فيها.
6. من سبل التقارب عدم الخوض في هذه المسائل بين عامة الناس، وأن تبقى الخلافات العقدية في حيز الخلافات بين طلبة العلم وأهل الاختصاص، ولا تطرح للعامة ليقال هذا من فرقة كذا وهذا من فرقة كذا، بل حتى بين أهل العلم يكون الهدف الرئيسي البحث عن الحق، وإذا لم يتفق الأشاعرة وابن تيمية في مسألة الصفات فلا يؤدي ذلك للفرقة والتكفير، بل تبقى إخوة تحت راية لا إله إلا الله، قال الإمام الذهبي: "قال يونس الصديقي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقتا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة"⁽¹⁾.
7. عدم الانشغال في مسألة الصفات بين ابن تيمية والأشاعرة، والتعصب لأحدهما، وهدر الجهد والوقت فيها، والانشغال بما هو أنفع للأمة، وما هو أنفع لنفسك عند لقاء ربك، وقد ضرب الجويني أجمل مثال في قوله قبيل موته: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما اشتغلت بالكلام"، وقال في مرض موته أشهدوا علي أنني رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور"⁽²⁾.

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص16.

(2) ليس هذا القول في كتب الجويني وإنما أورده العلماء في كتبهم وحكوه عنه، مثل: الذهبي: شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق قسم السيرة النبوية والخلفاء الراشدين: بشار عواد معروف، (د.م، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ-1985م) ج18، ص474. وصدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ) شرح الطحاوية - طبعة الأوقاف السعودية تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1 - 1418 هـ ص: 178.

الخاتمة

إنَّ مسائل الصفات من أكثر المسائل التي دار عليها الخلاف بين ابن تيمية والأشاعرة، وخاصة الصفات الخبرية التي وردت عن طريق السمع، فكان موقفهم بين الأخذ بالظاهر كما قال ابن تيمية ومقدمو الأشاعرة، وبين من أخذ بالتأويل والتفويض كما قال متأخرو الأشاعرة مثل الجويني والباقلاني والغزالي، والخلاف قديم ولا زال والأقوال معروفة، والبحث لم يأت لإزالة الخلاف بينهم، ولكن لتوضيح أسباب هذا الاختلاف وسبل التقارب بينهم وهو أمر ضروري في زماننا هذا.

إنَّ أهم أسباب الاختلاف بين ابن تيمية والأشاعرة هي المبالغة بأن رأي كل واحد منهم هو منهج السلف الصالح، حتى أصبح هم أغلب طلبة العلم نصر الرأي المقتنع به وتكفير أو تبديع صاحب القول المخالف له، وألفت الكتب في كل فرقة للرد على الفرقة المخالفة لها وتكفيرها والعياذ بالله، دون البحث عن الحق الذي يدين الله عزَّ وجلَّ به، أو البحث عن محل الخلاف وسبل التقارب بينهم.

ومن أهم أسباب الاختلاف كذلك اللغة العربية والاستشهاد بأبيات من الشعر في لغة العرب لم تثبت عن قائلها أو حرِّفت كلمة منها، فيجب التثبت والتأكد من نسبتها لقائلها.

أهم التوصيات:

- إنَّ من أهم سبل التقارب هي مراعاة وضع الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر وما تمر به من ضعف وفرقة بين أبناءها، وأن الاختلاف في هذه المسائل والتعصب لها يزيد من ضعف الأمة وتفرقها، ومن الضروري عدم الانشغال بها عما هو أهم منها وأنفع وأصلح للعبد في دينه ودنياه، لذا أوصي كل فريق بعدم التعصب للآراء.
- ومن أهم سبل التقارب كذلك أنَّ هذه المسائل ليست من مسائل الأصول التي تثبت بالقطعيات اليقينية، لذا أوصي الفريقين بوضع هذه الخلافات في حجمها الصحيح دون إفراط أو تفریط.
- لا يجوز بأي حال من الأحوال تكفير أو تبديع الأشاعرة أو ابن تيمية، فقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن تكفير المعين، وابن تيمية يثني على الأشاعرة في عدة مواضع ويذكر أنهم من أهل السنة والجماعة في مقابل المعتزلة والرافضة، ويذكر ما لهم من فضل على الأمة، لذا أوصي الجميع بالابتعاد عن التكفير والشطط في تنزيل الأحكام.
- أوصي طلبة العلم والباحثين أن تبقى الخلافات العقدية في حيز المدارس بين أهل الاختصاص ولا تطرح للعامّة.

المصادر

1. ابن أبي العز: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد الحنفي، الأذرع الصالحي الدمشقي شرح **الطحاوية**، تحقيق: أحمد شاكر، (السعودية طبعة الأوقاف وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1 - 1418 هـ).
2. ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت - دار الكتاب العربي -، ط1، 1422 هـ).
3. ابن العماد: شهاب الدين، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، (دار ابن كثير، ط1، 1411 هـ - 1991 م).
4. ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728 هـ)، **بيان تلبیس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، (المملكة العربية السعودية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1. 1426 هـ).
5. ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، (السعودية، دار العاصمة، ط2، 1419 هـ - 1999 م).
6. ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (المملكة العربية السعودية، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1411 هـ - 1991 م).
7. ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد وفقه الله، (السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1425 هـ - 2004 م).
8. ابن منظور الأفريقي: جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، (بيروت، دار صادر، ط3، 1414 هـ).
9. أحمد بن حنبل: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، (دم، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م).
10. الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق، **الإبانة عن أصول الديانة**، تحقيق: فوقية حسين محمود، (القاهرة، دار الأنصار، ط1، 1397 هـ).
11. الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق: نعيم زرزور، (دم، المكتبة العصرية، ط1، 1426 هـ - 2005 م).

12. الألباني: محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2002م).
13. الإيجي: عبد الرحمن بن أحمد، **المواقف في علم الكلام**، تحقيق: عبد الرحمن بن عميرة، (بيروت، دار الجبل، ط1، 1997م).
14. الباجوري: إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي، **حاشية الباجوري المسماة تحفة المريد على جوهرة التوحيد**، تحقيق: علي جمعة محمد الشافعي، (دم، دار السلام للطباعة والنشر، ط1، 1422هـ-2002م).
15. الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، (لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1407هـ-1987م).
16. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (دمشق، دار ابن كثير، ط5، 1414هـ-1993م).
17. البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني، **الأسماء والصفات**، تحقيق عبد الله الحاشدي، (جدة، طباعة مكتبة السوادي، ط1، 1413 هـ - 1993 م).
18. الجويني، **الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، تحقيق: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، (مصر، مكتبة الخانجي، دت، 1369هـ-1950م).
19. الحسيني، محمد عادل الكيالي، **عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة في آيات وأحاديث الصفات كما رواها الثقات**، تحقيق: عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري، (دمشق، دار البشائر للطباعة والنشر، دط، 2001م).
20. الذهبي: شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: قسم السيرة النبوية والخلفاء الراشدين: بشار عواد معروف، (دم، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ-1985م).
21. الرازي، **أساس التقديس**، تحقيق: أحمد السقا، (القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1406هـ).
22. الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، (دار العلم للملايين، ط5، 1980م).
23. العصري: سيف بن علي، **القول التمام**، (عمان، دار الفتح، ط1، 2010م).
24. العلواني: طه جابر، **أدب الاختلاف في الإسلام**، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي الإسلامي، دط، 1987م).
25. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، **الاقتصاد في الاعتقاد**، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ-2004م).

26. الكبيسي: محمد عياش، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، رسالة دكتوراه، (بغداد، مطبعة الحسام، ط1، 1416هـ-1995م).
27. محمد أمان علي جامي: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، (المدينة المنورة، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 1408هـ).
28. مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح ((صحيح مسلم))، تحقيق: محمد ذهني أفندي - إسماعيل بن عبد الحميد الحافظ الطرابلسي - أحمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري - محمد عزت بن عثمان الزعفرانبوليوي - أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، (تركيا، دار الطباعة العامرة، ط1، 1334هـ).